مسرحية

الغريب الفائزة بجائزة دبى

الثقافية ومسرحيات أخرى

تأليف

محمد عبد الله فؤاد

الطبعة الأولى
الكتاب : الغريب
المؤلف : محمد عبد الله فؤاد
تصنيف الكتاب : مسرحيات
تصميم وإخراج : أحمد عبد الحليم
المقاس : ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ٢٧٣٥٣ / ٢٠١٥

دار يسطرون

يسطرون
للطباعة والنشر والتوزيع

طباعة وتوزيع الكتب فى جميع أنحاء العالم
المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت -محطة المطبعة
شارع الملك فيصل - الجيزة
جمهورية مصر العربية
٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢
مدير الإنتاج : أحمد عبد الحليم
المدير العام : أحمد فؤاد الهادى
رئيس مجلس الإدارة : عماد سالم
بريد إليكترونى : yastoron@gmail.com
موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

إهداء

إلى روح أمى الغالية اهدى هذا العمل

محمد عبدالله

الغريب

الفائزة بجائزة مجلة دبى الثقافية

المنظر الأول

(مقبرة يتوسطها تابوت خشبى موضوع بالطول يرقد فيه رجل ميت يلتف حوله أناس كثر يقف فى وسطهم رجل يرتدى زيا أزهريا له لحيه وعمامة

يصيح : (قائلا)

إنا لله وإنا إليه راجعون

انتم السابقون ونحن اللاحقون

ادعوا لأخيكم

واقرؤوا له الفاتحة

لا باكية ولا نائحة

اليوم لن تنفعه

سوى الأعمال الصالحة

واعتبروا من موته

انظروا أين هو الآن

وأين كان البارحة

دنيا غروره

يوم قابضه

ويوم مانحه

ودعوا أخاكم

واقرؤوا له الفاتحة

إيه

يرحمك الله يا غريب بيه

(يبدأ الجميع بالانصراف من حوله يقول أحدهم:

أحدهم : هيا يا أخى هيا يا أماه

أحضرى جدتك يا أختاه

: (يتلقى العزاء)

(يذهب الباقون ويظل رجل واحد واقفا يخطو نحو

التابوت محدثا إياه

قائلا):

لقد انصرف الأحباء

بعد العزاء

عندما يحل المساء

آتى لأسرق الكفن

أبيعه وأقبض الثمن

حتى ذلك

لن أقول الوداع بل

إلى اللقاء

(يمضى الجميع، يظل التابوت وحيدا حيث يقبع رجل ذو شعر أشيب، وفجاة يفتح الرجل عينيه ببطء يبدأ فى التأوه بتململ ثم تتسع حدقتا عينيه يبدأ فى الحديث متأوها :

الرجل : آه

ما هذا الظلام الدامس

أنا لا أرى أى شئ

آه أتنفس بصعوبة

ما هذا أنا لا أستطيع التحرك

ما هذا المكان البائس؟!

بالكاد أحرك ذراعي

لا أستطيع أن أثنى قدمي

أين أنا ؟

ما الذى أتى بى إلى هنا ؟

ماذا حدث ؟

ما هذا العبث ؟

آخر ما اذكر

واتتنى نوبة السكر

يا للهول ... يا للمأساة

لابد أنهم ظنوا أننى قد فارقت الحياة

إذن هذا المكان

قبر

يا إلهى لا يمكن

إنه القبر

يا للحمقى

أولئك الأغبياء

يا لى من شقي

ما العمل الآن ؟

بعد قليل

ينفد الهواء النقي

وأموت هذه المرة

ويا لها من ميتة

لن يحدث هذا

لم أفرغ بعد من الحياة

لابد أن يكون هناك حل

لكن ما العمل؟

سيأتى أحدهم

أصرخ فيسمعنى ويخرجني

سأظل قابضا على هذا الأمل

★★★

(تقف جماعة من الرجال يتبادلون الحديث يقول أحدهم) :

يا من ندعى بأصدقاءه

لنتقدم الجمع فى عزائه

(يتجشأ الاخر ويتمايل ممسكا بزجاجه خمر قائلا) :

فى نخب المرحوم

فيجذبه إليه الثالث ويضع يده على فمه ويصيح فيه

اصمت أيها الأخرق

ألا تفيق أبدا أيها الأحمق ؟

أهذا وقت لتسكر فيه؟

أجئنا لنؤدى واجب العزاء يا رمزي

أم جئت تنطق بالتفاهات

رمزي : فى الحقيقة أنا اليوم

من النشوة أغرق وأغرق وأغرق

هههههههههههههه

رفقي : لقد أخطانا باصطحابه هنا اليوم

إنها غلطتك يا صبري

صبرى : لا تلقى علىَّ وحدى باللوم

إنه ليس صاحبى وحدى يا رفقي

رضوان : هنا ليس مكان لنتعاتب

هيا لنفرغ من هذا الواجب

ثم ننصرف فلدى شؤون كثيرة

صبرى : معك حق يا رضوان

هيا لنفرغ من هذه المهمة الثقيلة

(يسيرون حيث تقف أسرة غريب)

رضوان : البقاء لله يا سيدتي

خالص تعازينا الحارة

السيدة : حياتك الباقية

رضوان : شد حيلك يا بهجت

أنت الآن رجل العائلة

البقاء لله يا مدحت

(يتبعه باقى الأصدقاء مرددين نفس العبارات)

(يقف الأصدقاء أمام قبر غريب)

غريب : أصدقائى أخيرا جئتم يا رفقاء الدرب

غريب بفرح : أخرجونى يا مهجة القلب

رضوان : الله يرحمه

رمزى : مافتكرش ، أنا لا أعتقد

صبرى : لم يطلب أحد رأيك

الزم الصمت

رفقي : أنا لا أدرى سبب سخطك على غريب لهذا الحد

هل حدث بينكما مؤخرا شئ لا نعلمه؟

رمزي : هل تتكلم بجد ؟

أأنا وحدى من يمقته؟!

جميعنا يعلم حقيقته

رضوان : على حد علمى لقد كان سخيا معك

ألم يكن يقرضك ؟

رمزى : لهذا السبب بالذات أكرهه

وددت لو أقتله

لم ينس أبدا أن أباه كان

يعمل عندنا خادما

كان يعلم إسرافى وإدمانى للشراب

يقرضنى وقبل الدفع

يملى شروطه وأمره مجاب

كان يذلني

كان هو الأمير وأنا العبد الفقير

يدفع لى ويعلم أنى لن أرد
كان يتلذذ فى كل مرة
أن يشعرنى بالمعرة
أود لو أجلده
يسخر منى فى مجلسه
يطلب منى أن أسرِّى عنه
يعاملنى كأننى مهرج
الصعلوك نسى أنى كنت سيده
ضحكاته كانت تقتلني
لم يكن ينقصنى سوى أن يعاشرني
أكرهه أود أن أقتله

صبرى : لا عليك يا رمزى لا عليك
سنثار لك

رمزي : أعلم

صبرى : ماذا ؟

رمزي : نعم أعلم أنك تخطط يا صبري
أن تزوج ابنك لابنته
ليس هذا فحسب
(يتجه بوجهه نحو رفقي)

أعلم أنك تخطب ود أرملته

(يلتفت ناحية رضوان)

أما أنت يا زعيم الغجر

تود أن تضرب عصفورين بحجر

تتزوج بأمه فترثها وترثه

أليس كذلك اعترف ؟

رضوان : هذا يكفى لننصرف

(يشير بإصبعه لرمزي)

وأنت إياك أن تنطق بحرف وإلا

رمزي : لا تكمل

لن أتكلم مطلقا

ولن أشغل حتى البال

ما دمتم ستقرضوننى المال

ففمى سيبقى مطبقا

رضوان : حسن هيا بنا

ما هذا ؟

(يلتفت الجميع خلفهم ليجدوا مجذوبا له لحية طويلة وملابس ممزقة)

منذ متى تقف هنا ؟

المجذوب : كل من عليها فان

ولا يبقى سوى وجه الرحمن

صبري : دعك منه إنه مجذوب

رضوان : أيكون قد سمع شيئا ؟

صبري : ليكن ماذا سيحدث ؟

إنه لا يعلم من نكون

ولا عن أى شئ نتحدث

رفقى : هيا هيا هلموا يا أصحابى

رضوان : نعم هيا قبل أن أفقد أعصابى

(ينصرف الجمع ويبقى وحيدا)

غريب : ما هذا ؟

من هؤلاء ؟

ليسوا مهجة القلب

ليسوا رفقاء الدرب

دول ولاد ستين كلب

دول عصابة

مافيا

يقسمون تركتي

يسبون نسائي

يغتصبون ثروتي

لن يحدث

سأخرج وأقتص من الجميع

أنا السبب

لا يهم

يوم الحساب قد اقترب

★★★

الزوجة : ما هذا الهراء ؟

حقا إنه آخر الزمان

لم يبق سوى الساقطات

نتلقى منهم العزاء

يالوجههن المكشوف

مدحت : تريثى يا أماه

الزوجة : وما أدراك أنت بهن ؟

أنا اعلم بوجودهن

منذ رأيتهن

عيونهن تفوح منها رائحة القهر

أتين ليشعرننى بالقهر

يقولون فى سرهن

نحن من كان يأتينا بعلك

ما عندنا لا يوجد عندك

مهلا يا أماه

مدحت : تمالكى نفسك يا وجدان

لم يبق سوى القليل يا جى جى

ولن ترى وجه أحد منهم بعد الآن

وجدان : أهذا وقت المداعبة ؟

انظر

هذا ما كان ينقصنا

ابن ضرتي

كمال ابن زوجته السابقة

(يتقدم شاب باتجاه العائلة)

كمال : البقاء لله يا بهجت

البقاء لله يا مدحت

خالص عزائى يا زوجة أبى

وجدان : مرسى

بهجت : حياتك الباقية يا كمال

كمال : بإذنكم سأذهب لأسلم على أبى

مدحت : تفضل

يتوجه كمال إلى القبر ويقف حيث يرقد غريب

كمال : إيه يا غريب

رحمك الله

غريب : من ؟

كمال ولدى البكري

حبيبي

أخرجنى أسرع يا كمال

أسرع

كمال : هل استرحت الآن مكانك هذا ؟

لا أعتقد

المكان ليس مكان الظلم

لن تمارس هوايتك المفضلة

لن يسمح لك بعد اليوم

أن تمارس طغيانك

وتقهر بسلطانك

غريب : كمال انتظر

حبيبى أرجوك اسمعني

كمال : بل اسمعنى أنت

هل تطلب منى الرحمة؟

ولم لم ترحمنى أنت ؟

أنت لم ترحم

لم توقفك يوما صرخاتي

دمعاتي

أهاتى وأناتى

صوت ضلوعى تتحطم

لم ترحم

لم ترحم أمى المسكينة

أقعدتها وأفقدتها سنين شبابها

أحلى أيام عمرى وعمرها

لا صوت يعلو صوت نعيقك

أنت الآمر

ونحن عبيدك

طوال الوقت مخمور

صمت وكبت

تأتى بالعاهرات إلى مخدعها

وتصمت

تضربها وتضربني

وتصمت

تشرب وتشرب وتفضحنا

وتصمت

صمت وصمت كبت وكبت

تركتها بلا سبب

لتهرول وراء بنت الحسب والنسب

انفجرت ماتت

قتلتها

أنت قاتل قاتل

أيها المغرور

هل أنت الآن مسرور ؟

لم سميتنى كمال ؟

كان الأجدر بك أن تسميني

صابر أو عبد الصبور

أو اى اسم يحمل معنى الصبر

يا نهر من الطغيان والجبر

أتوضأ منه فى كل يوم مائة مرة

من نزع الصنبور؟

أغرقنى تدفق القهر

امتلأت رئتاى من الجور

وبالرغم من كل هذا

يأبى قلبى فى عناد

أن يرضى بغير حبك

أعطيه كل يوم دواء الحقد والبغض

فيلفظه

المزه الكزه

ولا فائدة حبك بالمرصاد

أدمن جسدى سوط الجلاد

وعشق السمك شباك الصياد

غريب : كمال سأعوضك

سأمنحك نصف ثروتي

كمال : أنا لا أريد المال

أنا لا اريد شيئا

لا شئ يداوى الجرح

لا شئ يعوضنى عن أمى

عن طفولتى عن شبابي

عن أحلامى

غريب : كمال أنت تسمعني

أخرجنى

كمال : نعم أسمع صوتك من العالم الآخر

تطلب منى الرحمة

أعرف أنها أوهام

سأغادر قبل أن يمسنى الجنون

غريب : انتظر انتظر يا كمال

إنها ليست أوهام

أنا حى حي

(يمضى كمال مهرولا يصطدم بالمجذوب يتحاشاه ويمضى)

المجذوب : دنيا فانية ما دايم غير وجه الله

غريب : أسمع وقع أقدام يا فرج الله

إنها أقدام سيده

إلا السيدات

أنا لا أخطئ فى تمييز هذا النوع من الخطوات

السيدة : كيف حالك يا غريب؟

غريب : سهير حبيبتي

سهير اسمعي

أعلم أنى كنت قاسيا بعض الشئ

لكننى سأعوضك سا ....

سهير : أدفع نصف عمري

بل عمرى كله

وأراك وأنت تتعذب فى نار جهنم الآن

أو تدرى نار جهنم كلها

تصبح بردا وثلجا

بجوار النار التى فى صدري

نار تأكلنى ليل نهار

آه يا جبار

يا غدار

أنت أشعلت النار

نار الغدر

نار الحرقة على زوجي

تغدر بصديقك

أراك نسيت أنه كان شريكك وصديقك

ومن أنت لتعرف معنى الصداقة ؟

يا جاحد

قتلته بدم بارد

ليخلو لك الجو

وتعبث معي

بل تعبث بى

كرهتك

وكرهت نفسي

وكرهت جسدي

لم يكن لى سلاح أدافع به عن نفسي

سوى الصمت

نعم سكت

هددتنى بأن تلحق ابنى بأبيه

خفت

سلمت

سكت

قلت لك ان نتزوج

استرني

أبيت

ما أنت ؟

ما جنسك ما ملتك ؟

أأنت الشيطان ؟

إن الشيطان نفسه

يخجل منك

أود لو كنت مازلت حيا

لأ نبش قبرك

أقطع لحمك

آكل كبدك

اخرج إلىَّ

غريب هامسا : أنا ميت

أنا مت وشبعت موت

تكمل سهير : كنت جارية

مهما ارتديت من ثياب

فأنا دوما عارية

فى كل يوم

لابد أن أتزين وأتهيأ

تأتى بألوان من الناس

تقدمنى إليهم

أيها النخاس

كدت أقتل نفسى وابني

أتقدم شبرا وأرجع خطوه

أخبرنى يا صاحب السطوة

أمستريح أنت فى الظلمة؟

(يقترب منها المجذوب)

دنيا غروره

سهير : صدقت

يكفيه ما هو فيه

(تمضى سهير إلى الخارج)

غريب : اسمعينى سهير

(تتقدم سيده أخرى نحو القبر تمشى بخلاعة، تنظر إلى المجذوب بارتياب قائلة):

امش امضى من هنا

المجذوب : (يبتعد وهو يردد):

حى حي

(وهى تتشدق بعلكة)

السيدة : السلام عليكم

غريب : لا متقوليش نانسي

روح قلبي

هيا يا نانسى هيا أخرجينى

لقد كدت أختنق فى هذا المكان اللعين

نانسى : أهكذا يا رجل ؟

تموت قبل أن تهدينى السيارة التى وعدتنى بها ؟

هى دى أخرتها

غريب : ليس هذا بالوقت المناسب ، أخرجينى الآن

نانسى : نهايته

اللّه يرحمك

كنت كريما وسخيا

ورجلا و .....

تضحك بمجون : وشقي

غريب : هيا إذن

يصرخ بشده : أخرجينى من هنا الآن

نانسى : ما هذا ؟

بسم اللّه الرحمن الرحيم

من أين يأتى هذا الصوت ؟

يجعل كلامنا خفيف عليهم

(يقترب المجذوب يصيح) :

المجذوب : حى حى

تقول بصوت مرتجف

بسم اللّه الرحمن الرحيم

أنا ذاهبه

سلام يا غريب

(تهرول ذاهبة)

غريب : انتظرى يا بت

نانسى نانسي

ولا انت نانسى ولا حاجة تلاقى أصلا اسمك ذنوبه

ما هذا اليوم النحس؟

ماذا جرى للناس اليوم؟

ألا ينوى احد أن يقوم بإخراجى؟

(يسترق غريب السمع هناك خطوات تقترب، تظهر وجدان بصحبة رفقى ويقفان بجوار القبر)

رفقي : لا عليك

إنه فى عالم آخر الآن

وجدان : لا أصدق أنهن أتين بكل بحاجة ووقاحة

الذنب ليس ذنبهن

هو من فعل ذلك بى

إنه دائما يفضحني

أنا من انتشلته من القاع

وأحسنت معه الصنيع

كنت أعلم أنه على علاقة بهذه الأشكال

كان يحن دوما لأصله الوضيع

لكن لن يأتى إلى هنا

هذا كثير

ضاع العمر

تحطمت ضلوعى بين ضلوعه

لم أكن أتنفس سوى رائحة تبغه والخمر

لله الأمر

(تبدأ بالبكاء يخرج رفقى منديله، يقدمه إليها يضع يده على كتفها)

رفقي : كفى كفى

كفانا دموعا وآهات

ابتسمى انظرى أمامك

انظرى إلى الغد

سأعوضك عن كل ما فات

سأكون لك الزوج والحبيب

والصديق وكل شئ

غريب : نجيب اتنين ليمون وكرسيين

أخرجونى من هنا يا ولآد أل .....

يصرخ بشدة : أخرجونى أخرجونى

وجدان : أتسمع شيئا

رفقي : ربما لا أعلم

هيا لنمض بعيدا عن هذا

المكان الموحش

غريب : انتظرا أنتما الاثنان

انتظرا

عندما أخرج

سألقنكما درسا لن تنسوه

أخرج؟

أحقا سأخرج

لقد بدا اليأس يسرى فى أفئدتى

وبدأ الإعياء يتدفق فى أوردتى

يا رب

أخرجنى من هنا يا رب

(يقترب بهجت ومدحت ويقفان بجوار القبر)

بهجت : أتعلم سأفتقده كثيرا ؟

مدحت : وأنا أيضا

غريب : يا فرج الله

كنت أعلم يا رب أنك ستستجيب دعائي

هؤلاء أبنائى أحبائى

غريب : أخرجنى يا بهجت

أخرجنى يا مدحت

بهجت : إيه رحمة الله عليه

المهم هناك ما أود أن أحدثك بشأنه

مدحت : أعلم أنه الإرث والتركة

بهجت : نعم

مدحت : اسمع تصرف كما شئت

بهجت : على البركة

مدحت : انتظر لم أكمل كلامي

أعلم أنك تحب الاداره

در ما شئت وغير ما تشاء

لكن لا تعبث بمالي

نصيبى يأتينى غير منقوص

بهجت : لك هذا

كم كنا ننتظر هذا اليوم ؟

على أحر من الجمرة

لقد كان حجر عثرة

أيامه كانت غبره

مدحت : نعم نعم

غريب : هكذا ؟هكذا يا أبناء وجدان

لعنه الله عليكم

وعلى كل جيل هذا الزمان

أنتم لستم أبنائى أنتم أبناء الخطيئة

احم لكن ما علينا بالرغم من أفعالكم الدنيئة

أخرجونى ولكم ما شئتم

لا أريد منكم شيئا أخرجونى الآن

مدحت : هه ؟ ماذا قلت

بهجت : لم أقل شيئا

مدحت : آه حسنا هيا بنا لقد كان يوما طويلا

بهجت : نعم وشاق أيضا

مدحت : هيا بنا

بهجت : هيا

يمضى الأخوان بعيدا

غريب : إنها مؤامرة

لو لم أمت مختنقا

فسوف أموت من الغيظ كمدا

بدأت أشعر أنهم لم يخطئوا

حين جاءوا بى إلى هنا

بل فعلوا ذلك عمدا

لكن ما العمل فى موضعى هذا ؟

أسأمكث هنا طويلا أم ماذا ؟

أفرجها من عندك يا رب

(يظهر لص الأكفان يقترب من القبر قائلا) :

لص الأكفان : ألم ينصرف الجميع بعد ؟

ما كل هؤلاء البشر ؟

لابد أن المرحوم كان له أحباب كثر

أنتظر هنا قليلا

سيجيء الوقت وينصرفون

ماذا يفعل ذلك المجذوب القبيح ؟

لن أشغل بالى به

حجر واحد ألقيه

فيطلق ساقيه للريح

لص الأكفان : سأختبئ هنا

هناك من يقترب

(تقترب ابنته بصحبة شاب)

الابنة : لترقد بسلام يا أبى

غريب : سلمى ياه سلمى

يا ابنتى الغالية

طال انتظارك يا حبيبتي

أسرعى يا ابنتي

أخرجينى من هنا

الشاب : أتفتقدينه يا سلمى ؟

غريب : ومن هذا أيضا ؟

سلمى : بالطبع

لا أنكر يا حبيبي

غريب : حبيبتك ؟

سلمى : إنك حبيبى وصاحبى وأخى وأبى

لكن يظل الأب أبا يا فكرى

غريب : فكرى ابن صبري

إنها لم تعد مقبرة

أشعر أننى على كورنيش النيل

وسيأتى بائع الذرة المشوى بعد قليل

لقد صارت المقبرة ملتقى العشاق

يتبادلون ها هنا الأشواق

فكرى : أنا أرى أن ترمى الأحزان خلف ظهورنا

الوقت ليس ملكنا

سلمى : ماذا تقصد ؟

فكرى : أرى ألا نتمهل وننتظر الأربعين ؟
يكفى أسبوع بعدها نعلن خطبتنا

غريب : سترفض بالتأكيد
إنها ابنتى حبيبتي

سلمى : معك حق

غريب : ماذا ؟

سلمى : خاصة قبل أن يظهر علىَّ الحمل

غريب : حامل ؟ آه يا فاجرة

فكرى : بالضبط هذا ما اقصده

غريب : سلمى أخرجينى أخرجونى من هنا

سلمى : إن هذا المكان موحش
اسمع صوتا كصوت أبى

فكرى : حسن هيا بنا إذن

سلمى : نعم هيا بنا من هذا المكان الكئيب

تمضى سلمى وفكري

يا ويلك يا غريب

لا فائدة

إيه الحكاية؟

أشعر أنها النهاية

يا لها من نهاية

(يظهر لص الأكفان يقترب من القبر)

لص الأكفان : يبدو أنهم مضوا إلى حال سبيلهم

(يخاطب المجذوب) :

أنت امض من هنا

امش

(ينظر إليه المجذوب محدقا بعينين جاحظتين ويظل صامتا)

اللص :

قلت لك اذهب

ألا تفهم ؟

أهناك أحد قادم ؟

(ينظر فى اتجاه الصوت فيجد أم غريب تتقدم باتجاه القبر)

اللص : ما الذى أتى بهذه العجوز مرة أخرى ؟

فلنصبر قليلا

لنختبئ مرة أخرى

(يهم بالرجوع ويلتفت إلى المجذوب)

لص الأكفان : بركاتك يا مولانا

ويختبئ مرة أخرى

أم غريب وهى تبكى : ولدى

غريب : من ؟ أماه

غريب : حمدا لله

رضوان : حنانيك يا كوثر يا حبيبتي

أنت امرأة مؤمنة

إنه قضاء الله يا أم غريب

كوثر : لا أستطيع يا رضوان

الفراق عصيب

غريب : رضوان ؟

إيه يا أمى ده يا أمى

ألم تجدى سوى رضوان ؟

ذلك الوغد اللعين

التلميذ النجيب للشياطين

حتى أنت يا أماه

رضوان : الحى ابقى من الميت يا كوثر

كوثر : ماذا تعنى ؟

أأنسى ولدى ؟

رضوان : بل لقد نسيت فعلا

نسيت كم كان يهملك

ويسئ معاملتك ويقسو عليك مليا

الم تشكى لى مرارا وتكرارا من فظاظته

هو وزوجته

ألم تكونى تنوين الهروب لنتزوج معا ؟

أنت بلسانك هذا أخبرتنى

إنه ينتظر موتك بفارغ الصبر

ليرثك وينعم بثرواتك

والآن ماذا ؟ انظرى هو فى القبر

لو كان مكانك لرقص طربا لوفاتك

كوثر : كفى كفى لا أريد أن أسمع المزيد

إنه ولدى ولدى

رضوان : آسف

كوثر : لا تقل شيئا

ليس هذا بالمكان ولا الوقت المناسب

رضوان : لكن.....

كوثر : قلت كفى

غريب : أماه

أخرجيني من هنا يا أماه

كوثر : أسمع

رضوان : ماذا الآن ؟

كوثر : إنه غريب

إنه يناديني

رضوان : ها قد بدأنا فى الهذيان

يأتى صبى صغير مسرعا وهو يجرى يقف أمام رضوان وكوثر

جدتى جدتي

كوثر : ما الأمر يا حسام ؟

حسام : أبى يطلب منك المجئ

الوقت قد تأخر ونحن نريد الرحيل

رضوان : جئت فى وقتك أيها الغلام

كوثر : لكننى أسمع صوتا

رضوان : هيا يا أم غريب

لقد كان يومك طويلا

هيا يا حسام

حسام : سأتبعكما

أود أن أسلم على جدي

(رضوان وهو يجذب كوثر)

أسرع إذن ولا تتأخر

هيا يا كوثر

(يمضى رضوان وكوثر)

غريب : فعلتها يا رضوان

حسام : جدى هل تسمعنى ؟

غريب : من حسام ؟

حفيدى العزيز

أنت أملى الأخير

يا بسمة وضاءة

يا آخر روائح البراءة

(يرجع حسام إلى الخلف يتعثر فى خوف):

ألا زلت حيا يا جدى ؟

(ثم تقدم مرة أخرى نحو القبر)

غريب : نعم يا ولدى

أسرع أحضر لى من يخرجني

ساعدني

حسام : حاضر سأخبر أبى

غريب : أسرع بالله عليك ولا تتأخر

حسام : حسنا سأحضر

(يهرول حسام حيث تقف العائلة يجذب أباه بهجت)

حسام : أبى أبى

بهجت : ما بك يا حسام ؟

حسام : ج ج جدى لازال حيا

لقد تحدث إلىَّ

(يضع بهجت يده على فم حسام)

اصمت الآن أيها الولد

إياك أن تتفوه بكلمة واحدة يا أهبل

وإلا حطمت ضلوعك ودفتك هنا

أتفهم ؟

لا أريد أن أسمع صوتك حتى نصل إلى المنزل

تقدم اركب الآن فى السيارة هيا

(يسير حسام مطرقا رأسه فى الأرض يمشى فى صمت)

غريب : لقد تأخر الغلام

حسام حسام

لا فائدة

لن يصدقه أحد

لم أعد قادر أن أتحمل المزيد

ما هذا القدر العنيد ؟

الموت أهون من هذا العذاب

لو لم أمت ما رأيت ما يحدث

لمارأيت ما بعد الموت

لكى أرى انفراط العقد؟

ضياع ما جمعت؟

ما كنزت؟

لأرى الكراهية فى صوت من أحببت؟

لأحصد ما غرست؟

أن اجنى الحقد

أم تراه القدر يلقننى درسا؟

لأعيد الغرس

وأصلح كل شئ

وابدأ من جديد

بعد أن أخرج من هنا

نعم هذا هو

سألقن الجميع درسا لن ينسوه

متى ينتهى هذا الهراء ؟

من سيأتى ليخرجني؟

ليس أمامى سوى الانتظار

حتى آخر ذرة هواء

(يقترب المجذوب من القبر)

المجذوب : غريب

غريب : من ؟

أنا أعرف هذا الصوت

أليس صوت المجذوب الذي

يتحدثون عنه لكننى سمعته قبل اليوم ؟

المجذوب : غريب أيها الجبان

لم رحلت قبل الموعد ؟

أجبني

غريب : من أنت ؟

المجذوب : أنا عملك الأسود

أيها الحقير الخسيس

غريب : مراد؟!

المجذوب : نعم مراد أخوك

ابن أمك وأبيك

لن تستطيع هذه المرة

أن تطلب البوليس

اتذكرنى ؟

أتذكر ما فعلته بى؟

أنا أذكره

يدور شريط فى كل يوم

صباح مساء

يعيد رواية الغدر

قصة الاختراع

كيف يصير الدم ماء ؟

أنت بحق تستحق جائزة

لقد فعلتها

أيها النابغة

لقد كنت دوما

منذ الطفولة

أنت المدلل

وأنا الأول

فى كل شئ الأول

ليتنى كنت

كنت أنا لا شئ

كأننى غير موجود

لقد صنعت أمك منك صنما

لنصلى له كل مساء فى خشوع

وجزاء معارضتى تكسير فى الضلوع

صنعت منك فرعونا

وميلاد فرعون جديد

وأد لألف حلم جديد

أردت أن تملك كل شئ

وملكت كل شئ

أردت امتلاك روحي

صرخت كفى

مللت من طوقك اللعين

فكان جزائي

أودعتنى مستشفى المجانين

آه أنا حزين

ضاعت صرخاتى فى العنابر والزنازين

تتململ النار فى صدرى تريد الخروج كل يوم

لا أستطيع النوم

لم رحلت أنت ؟

ولم تدعنى أرحل أنا فى هدوء ؟

جروح ونتوء

لا تندمل

غريب : مراد

أخى سامحنى بربك

أرمى كل شئ وراء ظهرك

دعنا نبدأ من جديد

خد كل شئ

خد كل مالي

خد عيالي

لكن لا تدعنى هنا

مراد : أنا؟

وما يجدينى مالك الآن ؟

أيعيد لى شبابي؟

أيشفينى من سقم؟

أيداوى الجراح ويسكت الأنين؟

أينسينى جلسات الكهرباء

وعواء المرضى ورجم الغرباء؟

مال ؟ أأنت مجنون

ماذا أصنع بالمال؟

أاشترى به كرامتى المبعثرة فى الأفق؟

أم أشترى به حلة وربطة عنق؟

من منا المجنون أنا أم أنت؟

غريب : (فى إعياء) مراد أنصت إلىَّ

لم يعد هناك وقت

مراد : بل اصمت أنت إلى الأبد

يكفى هذا العبث

ماذا اصنع بنفسى ؟

أأتحدث إلى ميت؟

ترى هل نسيت أن آخذ الدواء اليوم؟

لابد أنى فعلت

يجب أن أرحل من هنا قبل أن أجن

غريب : هذا أسوأ يوم تثوب فيه إلى رشدك

انتظر واسمعني

مراد مراد

(يمضى مراد مسرعا وفى نفس اللحظة يخرج لص الأكفان من مخبئه)

لص الأكفان : هل رحل الجميع

(يصطدم بمراد) ألا زلت هنا؟

ارحل من هنا؟

(يمسك مراد بثياب اللص) أتأمرنى؟

من أنت؟

لقد سئمت الأوامر

بل ارحل أنت

اللص : (فى خوف) حسنا حسنا

اتركنى وسأذهب

هيا الآن

(يهرول اللص بعيدا ويمضى مراد إلى الخارج)

غريب : يا له من يوم عصيب

ما يحدث لى شئ غريب

ماذا فعلت فى دنياك يا غريب؟

ليكون هذا هو الجزاء

ربما أكون قد اقترفت بعض الأخطاء

لكن يكون هذا هو المصير؟!

ماذا صنعت؟

مهما يكن ما فعلت

أنا أتوب الآن

يا رب تبت إليك وأنبت
أرجعنى أعمل صالحا فيما تركت
يا رب

★★★

المنظر الثاني

(فى منزل العائلة يدخل الجميع المنزل: كوثر بهجت مدحت سلمى وجدان حسام)

بهجت : اشعر بالإرهاق الشديد

وجدان : سآخذ حبة منوم وأرقد
لا أريد أن يزعجنى أحد

مدحت : هيا فلنصعد جميعا

سلمى : تصبحون على خير
يجذب حسام جدته

حسام هامسا : جدتى جدتي
ما بك يا حسام
أود أن أخبرك شيئا؟
إن جدى غريب لا يزال حيا
لقد تحدثت إليه وتحدث إلىَّ

كوثر : ماذا تقول؟

حسام : أقول الحقيقة

بهجت : حسام أنت يا ولد

ماذا تفعل عندك؟

كوثر : يخبرنى بالحقيقة

بهجت : أى حقيقة ؟

كوثر : إن غريب حي

بهجت : ما هذا الكلام؟

كوثر : حسام سمعه وأنا سمعت صوته

سلمى : وأنا

كوثر : أنت ماذا ؟

سلمى : أنا ذاهبة لأنام

كوثر : انتظرى أنت سمعته أليس كذلك أخبرينى يا ابنتي؟

وجدان : ربما ربما خيل إليك أنت متعبة

هيا تعالى معي

كوثر : صوتك يقول إنك سمعته أيضا يا وجدان

لابد أنكم سمعتموه جميعا

لم تنكرون الآن؟

بهجت : لنفرض

أقصد أقصد أن هذا هذيان

لتصعدى الآن إلى فراشك يا جدتي

وغدا شان آخر

كوثر : سأذهب وحدى لأخرج ابني
ولدى أنا آتية يا ولدى
(مدحت ينظر من النافذة)

مدحت : جدتى انتظرى يا جدتي
لقد ذهبت مع السائق

بهجت : لابد أن تلحق بها إلى المقبرة
نعم يجب أن تمنعها قبل أن يضيع كل شئ
هيا

★★★

المنظر الثالث

(يتوجه لص الأكفان إلى قبر غريب)

اللص : أخيرا

أخيرا ذهبوا

والآن

استعنا على الشقا بالله

ما هذا الصوت؟

يا لهذا اليوم المشئوم

لم عادوا ثانية؟!

كوثر : أنت انتظر

اللص : أنا؟

كوثر : نعم أنت؟

اللص : ما الأمر يا سيدتي؟

كوثر : أحتاج إلى مساعدتك

اللص : لتعاوننى أنا وصالح لنفتح هذا القبر

لم يا سيدتى هل نسيتِ شيئا بالداخل؟

كوثر : من فضلك أتوسل إليك

اللص : هه حسنا

أنا لا أفهم شيئا لكننى سأساعدك

كوثر : هيا هيا يا صالح

لتبدأ أنت وهذا الرجل الصالح

على بركة الله

صالح : انظرى يا سيدتي

ألم أقل لك؟

إنها مجرد أوهام

سيدى غريب مات وشبع موت

اللص : ما هذا ؟ يا إله الملكوت أكنتم تعتقدون أنه لازال حيا

(يندفع الجميع : مدحت وبهجت ووجدان وسلمى نحو كوثر وصالح واللص)

بهجت : يكفى هذا الهراء

أغلق القبر الآن

كوثر : يا للشقاء

ولدى سامحني

خسئت يا كوثر وخبت

قتلناك يا ولدى

وقلنا مت

بهجت : يكفى يا جدتي

مدحت : هيا

لص الأكفان : نعم يا سيدتي

إنه الآن فى خير مكان

لا خوف عليه

نحن من أحوج بالخوف منه

فالإنسان فى هذا الزمان

لا راحة ولا اطمئنان

ارحلوا وليهدأ بالكم

والمرحوم ها هنا فى أمان

★★★

ستار

حور محب

المنظر الأول

(غرفة ملكية فرعونية يجلس بها رجل قوى البنيان مفتول العضلات تبدو على وجهه علامات القلق .ثم تدخل سيدة تبدو عليها علامات الوجاهة والأنوثة الطاغية وتخاطب الرجل الجالس فى الغرفة قائلة)

السيدة : أهذا أنت يا حور محب؟

حور محب : مولاتى نفرتيتي.

نفرتيتي : تبدو عليك علامات الوجل ما بك أيها البطل؟

حور محب : ألا يزال مولاىإخناتون متمسكا بقراره؟!

نفرتيتي : نعم وسيظل.

حور محب : لن أشارك فى تلك المهزلة

إن مولاى لا يدرك حجم المشكلة

ستزكم رائحة الدماء الأنوف

ستتساقط الجثث من أهل طيبة الحبيبة بالألوف

إنهم لن يقبلوا أن يجبرهم أحد على عبادة إله جديد

فليترك لآمون معابده وكهانته

وليتخذ هو آلهة جديدة كما يريد

ثم إنهم شيئا فشيئا سيدخلون فى عبادة إلهه الجديد

نفرتيتي : انه لا يرى فى الانتظار شيئا مفيدا.

ستهدم فى الغد معابد آمون

وتبنى أخرى لإلهه آتون

(يشحب وجه حور محب)

نفرتيتي : لا تكتئب

حور محب : إذا سأنسحب

لن ألوث يدى بتلك الدماء الطاهرة

لن أغرس رمحى فى أجسادهم ومنهم لن أقترب

ولو أطبقت على أرض طيبة السحب

(ويدير ظهره للملكة ويخرج من الغرفة)

★★★

المنظر الثاني

(فى الحانة يجلس حور محب وبجانبه تابعه وصديقه حابى)

حور محب : آه يا طيبه يا لكِ من وطن
هل كتب عليك فى كل زمن
أن تنامى بين أحضان الشقاء
ويكون غطاءك الوثير هو المحن
وكأنما ينقصك المزيد من الفتن
تبا لهذا الفرعون المجنون

حابى : لست أدرى من أين أتى بهذا الإله
امن بين جميع الخلائق قد اصطفاه
أتدرى بم أسماه ؟
أتون

حور محب : آتون أو آمون
كلها آلهة زائفة
من صنائع خيالات كهانة مسرفة
لا أؤمن سوى بوجود طيبه
هى إلهتى وهى الحبيبة
فلتسمعينى أيتها الآلهة

عليك اللعنة إن كنت بعيدة أو قريبه

حابى : هدئ من روعك يا سيدي

سيمر الغد سريعا

وتصير الأمور على ما يرام

حور محب : إنك واهم

لن يأتى الغد سوى بالمزيد من الآلام

لن يقبل كهنة آمون بانتزاع سطوتهم

ولن يخضعوا لكهنة آتون

سيوقدون ويلهبون الحمم

وينفثون سمومهم دون سأم

إنه يوم الحظ لتماسيح النيل

فغدا من الجثث الملقاة فيه ستسمن

حابى : أؤكد لكَ يا سيدى أنه سيخيب ظنك

فاهدأ ولا تحزن

: (قالها وعيناه تنطق بعكس ما تفوه به تماما)

★★★

المنظر الثالث

(فى قصر الفرعون دار الحوار الآتى)

نفرتيتي : لقد حدث ما كنت تخشاه يا حور محب وخضبت الدماء الدماء ثرى طيبة وسقطت آلاف القتلى تحت سنابك الخيل.

إخناتون : تبا لهذا الشعب الملعون
إنه لا يدرك مغبة فعلته
لم لا يذعنون؟
ما جئتهم إلا بالخير
لكنهم لا يفطنون

حور محب : ليس من المعقول يا سيدى بين عشية وضحاها
أن يبدل المرء عقيدته بأخرى سواها
وحدث ما كنت أخشاه
أن يتجرأالشعب على مولاه

إخناتون : لن يطيب لى هاهنا بعد اليوم مقام
سأرحل لأرض أعيش فيها فى سلام
سأبنى مدينة جديدة تتحقق فيها الأحلام
سأهبها للإله آتون
وليكن اسمها أخيتاتون

المنظر الرابع

أمام الغرفة الملكية كان حوار من نوع آخر يدور حوار بين عاشقين

حابى : ميريت أيتها الحبيبة

يا أجمل بنات طيبه

كم تاقت عيناى إلى رؤياك

ميريت : أنا أيضا كنت أرقب لقياك

أطوى الأيام فى ذكراك

حابى : لا أدرى ما فعله حبك فى قلبي

أشعر أننى مسحور

أشعر وكأننى أقف الآن أمام سيدة الآلهة حتحور

ميريت : مهلا مهلا

فأنا لا أستطيع أن أتحدث بمثل ما تقول

ولا أتمالك نفسى أمام كل هذا الكلام المعسول

حابى : أتعلمين سأتحدث إلى سيدى حور محب قريبا فى أمر زواجنا

كم اشتاق لهذا اليوم المأمول

(وفى تلك الأثناء يخرج حور محب من الغرفة الملكية فيهرع إليه حابى بعد أن يودع ميريت)

حابى : سيدي

حور محب : ماذا كنت تفعل أيها الخبيث؟

حابى : لاشيء يا سيدى لقد كنت..

حور محب : فلتفعل ما يحلو لك

ولكن كن حذرا أيها التعيس

فليست كل النساء إيزيس

حابى : لا تخش شيئا يا سيدى فأنا تلميذك النجيب

ترى هل من أمر جديد؟

حور محب : نعم لقد قرر الفرعون أن يرحل ليقيم مدينة جديدة لآتون

حابى : وهل سنصحب الفرعون؟

حور محب : ولمن نترك أعداءنا المتربصين؟

فليرحل هو ونعود نحن أدراجنا إلى ممفيس.

★★★

المنظر الخامس

(داخل خيمة القيادة فى ممفيس)

حور محب : هل سنظل هكذا كالنساء نشكو وننتحب

حابى : أخشى أن يطول انتظارنا للمؤن والذخيرة
ويضيع الوقت هباء

حور محب : ومن أين سيأتى المال؟
لقد أمر ذلك الفرعون المجنون بتسريح السجناء
وهم من كانوا يعملون فى المناجم لاستخراج الذهب

حابى : هل تدرى ما السبب؟

حور محب : لاشيء سوى أن يتقرب من الشعب
فيقبلون على عبادة آتون
إنه مجنون
ماذا أفعل الآن

(يدخل أحد الجنود إلى خيمة القائد قائلا)

الجندي : رسول من الفرعون يود لقاءك يا سيدي

حور محب : أدخله على الفور

(يدخل رسول الفرعون ويلقى التحية على حور محب)

حور محب : هات ما عندك

الرسول : سيدى لقد علم مولاى إخناتون بما يدبره الحيثيون
ولقد أرسلنى لأبلغ قائدنا الهمام
أنه قد قرر أن يعقد مع الحيثيين اتفاق سلام
ويرجو منك سيدى أن ترسل لهم من يخبرهم بهذا الأمر
على أن يبذل قصارى جهده
فمولاى إخناتون يأبى أن تراق المزيد من الدماء فى عهده

حور محب : حسنا سنرى ما يمكننا فعله. لتنصرف الآن
(ويغادر الرسول الخيمة فيصرخ حور محب قائلا):
ألم اقل لك إنه مخبول
لأن يدك عنقى تحت سنابك الخيول
خير من هذا الهراء اللعين

حابى : إنه لا يدرك شيئا
إنه ليس سلاما
بل هو استسلام مهين
أيظن أنهم سيتركوننا ننعم
ويكونون بنا رفقاء لنلهوا و نأكل وننهم
سيعيثون فى أرضنا فسادا

ويدنسونها بكل الخطايا

ويصير غلماننا لهم عبيدا

ونساؤنا لهم حظايا

حور محب : ما هذا البلاء؟!

أيصدق هذا المجنون

أن ما يجرى فى عروقه من دماء؟

هى حقا دماء مقدسة

أتقوده أوهامه أن يصدر الأوامر

ما يحيل به التراب الطاهر

إلى أرض بأقدام الأعادى مدنسة

حابى : ماذا سنفعل الآن أيها القائد؟

حور محب : سأذهب إليه على الفور لأثنيه عن عزمه

وأبذل قصارى جهدى لأعيده إلى رشده

★★★

المنظر السادس

(عند وصول حور محب وحابى إلى إخيتاتون يصله نبا وفاة إخناتون فيمكث بها برهة ولا يمضى وقت طويل حتى يعلم بتولى توت عنخ آمون الملك وجلوسه على العرش)

حابى : ماذا سنفعل الآن يا سيدي؟
وقد تولى الملك توت عنخ امون بعد وفاة اخناتون

حور محب : سننتهز تلك الفرصة الثمينة
نحشد الجيوش لملاقاة الحيثيين خارج أسوار المدينة

حابى : دون أن ننتظر الأوامر من الفرعون الجديد؟

حور محب : أيها الغبي
وهل يدرك ما نحن فيه ذلك الصبي
فلنتركه يلهو بعرائسه البلهاء
وعندما يكبر سيدرك ما لاقيناه من عناء
لنحفظ ملكه وليتخذ من القصور والمعابد ما يشاء

حابى : كما ترى يا سيدي
ولكنى أرجو أن تمنحنى بعض الوقت

حور محب : آه تريد أن تودع زوجتك الحسناء

حسنا خذ من الوقت ما تشاء

ولكن لا تجعلنى انتظر كثيرا وتتباطأ فى الرجوع

اقتصدا فى القبلات

ولا تذرفا الكثير من الدموع

حابى : أشكرك يا سيدي

ضاحكا

★★★

المنظر السابع

فى بيت حابى

ميريت : إذن سترحل ثانية

حابى : نعم يا حبيبة العمر
لا حيلة لنا فى الأمر

ميريت : أكتب علينا أن نتجرع دوما كأس الفراق؟!
أما لهذا السم اللعين من ترياق؟

حابى : هونى عليك يا حبيبتى ومناي
فانا أريد أن تكون ابتسامتك الجميلة
هى آخر ما تقع عليه عيناي

ميريت : كن حذرا واحرص على أن تعود سريعا
فلن أكون الوحيدة التى ترقب عودتك من حروبك العديدة

حابى : أتقصدين أنك ..

ميريت : نعم، فأنا فى انتظار الثمرة
لتكبر وتصير شجرة

لتكون شاهدا على أيام حبنا النضرة

حابى : يا للآلهة !

إن قلبى يكاد أن يقفز من صدري

سأعود سريعا

أعدك بذلك يا عمري

★★★

المنظر الثامن

(فى الموعد المرتقب يقف الجيشان على أهبة الاستعداد، ويسير حور محب بين صفوف جيشه ويصيح فيهم قائلا)

حور محب : أيها الجنود البواسل
إياكم والتخاذل
أترضون أن تصير أمهاتكم ثكلى
وأطفالكم اليتامى عبيدا
وأن تسبى نساؤكم الأرامل
أيها الجنود
بعرقكم ودمائكم
سنأتى بالنصر
وتسطرون بأرواحكم تاريخا لكم ولطيبة الخلود
ستنقش على المعابد قصص بطولاتكم
وسيروى التاريخ الكثير عن فتوحاتكم
المجد لطيبة
يصيح الجنود من ورائه : المجد لطيبة
(ويلتقى الجيشان وتدهس عجلات المصريين الحربية

أجساد الحيثيين وتنزع رماحهم قلوب الحيثيين من صدورهم ويبلون بلاءا حسنا ويجهز جيش المصريين على البقية الباقية من الحيثيين)

يصيح أحد الجنود المصريين : لقد انتصرنا

ويردد الجنود المصريون من ورائه : انتصرنا انتصرنا

★★★

المنظر التاسع

(يصل حور محب وجيشه إلى أرض طيبة فيخرج أهلها فى استقباله، وتخرج النساء والأطفال تبحث عيونهم عن الأب والزوج وتمتزج الضحكات بصرخات اللوعة، وتقع عينا حور محب على سيدة تحمل بين يديها رضيعها فيصيح قائلا)

حور محب : ميريت

ميريت : سيدي
مبارك عودتك سالما

حور محب : شكرا لكِ

ميريت : سيدى إننى لا أرى حابى بصحبتك
لم أعهد فراقكما من قبل
لا أراه بين الجنود
(ينظر إليها حور محب صامتا)

ميريت : أتركته خلفك ليحرس الحدود؟
(يطرق حور محب رأسه ليرفعها مرة أخرى وينظر إليها وقد فاضت من عيناه بالدمع)

ميريت : لا تقل إنه...

صائحة

حور محب : لقد أدى البطل واجبه كاملا
كان سيفا على رقاب الأعداء
ودرعا يحمى شرف الوطن
عاش كالنبلاء
ومات ليظل حيا فى ذاكرة الزمن

★★★

المنظر الأخير

(فى بيت حابى تظهر ميريت وقد انحنى ظهرها وغزا الشيب مفرقها ويدخل عليها شاب وسيم له جسد قوى مخاطبا إياها قائلا)

الشاب : أماه

ميريت : سنفرو هذا أنت يا ولدى

سنفرو : نعم يا أماه

لقد جئت كى أودعك فقد انتويت الرحيل

ميريت : ويحي

إلى أين أنت ذاهب أيها الفتى الطائش؟

سنفرو : إلى قادش

لقد انضممت إلى جيش الفرعون الجديد

رمسيس الثانى يا أماه

إنه مقاتل من نوع فريد

إنه ذاهب لسحق آخر فلول الحيثيين

ميريت : يا لشقاء السنين!

يا ولدى أنصت إلىَّ

لم يبق فى العمر أيام تنسأ
وأنا صرت عجوزا لا أحد لى سواك
و قلبى لفقدان أبيك به صدع لا يرأب
فرحماك يا ولدى رحماك

سنفرو : حنانيك يا أمى حنانيك
أتريدينني أن أخلع عباءة نسجتها بيديك
عباءة الواجب والشرف

ميريت : يا ولدى
دعك من هذه الترهات
لن ينالنا من هذه الغزوات
سوى الآلام والآهات
وهم من ينعم بالترف

سنفرو : أماه
نحن لا نقاتل من أجلهم ولا من أجل أحلامهم
لا نريد أن تكون لى مثل معابدهم
تنقش صورنا عليها
ولا لأجل أن أسكن فى قصر
إن ما افعله يا أمى من أجلك أنت
ومن أجل أهل طيبة الأوفياء

أريد أن أعود بالنصر

ميريت : تماما مثل أبيك بطل

عاش ومات رجل

سنفرو : أرى انك لست غاضبة الآن يا أمى

ميريت : كلا يا ولدى

اذهب صحبتك السلامة

ولكن عدنى أن ترجع كما قلت بالنصر

سنفرو : سأفعل يا أماه

من أجلك ومن أجل طيبة

سأفعل من أجل مصر

ستار

دموع العاشقين

المنظر الأول

(الإسكندرية، يجلس على شاطئ البحر شيخ وقور يناجى ربه قائلا):

أما آن لعينى أن ترى نورك جهرا

أما آن أن تتبدل نار شوقى بردا

احبك وأخشاك

أحبك حب عبد سقيم

وحبك الترياق

احبك وأرجو لو أنال

يوما رضاك

وأخشاك

أخشى أن تعرض عنى

يوم أن ألقاك

أخشى أن أكون من الخاسرين

الظانين أنهم أحسنوا صنعا

أرفق بى إذا لقيتك ذابلا عاريا

أكاد أهلك ظمأ

يوم تخشع الأصوات

فلا تسمع إلا همسا

يعلو صوت المؤذن بالأذان فيذهب الشيخ للصلاة

★★★

المنظر الثاني

(فى المسجد بعد الصلاة يجلس الشيخ وسط تلاميذه)

يقول أحدهم : كنا فى طريقنا للمسجد يا شيخنا
فسمعناك تناجى ربك بأبيات حزينة
ففيم حزنك يا شيخنا يرحمك الله؟
وأنت خير الناس
أنت المرسى أبو العباس

أبو العباس : يا ولدى
انه الشوق إلى لقياه
ولقاء الأحبة فى أخراه
قد ذكرتنى أمواج الإسكندرية
وليلها البهى ونسيمها الشجي
بسيدى ومعلمي
أبى الحسن الشاذلي
اذكرنى وأنا جالس تحت قدميه وقد كف
بصره من كثرة البكاء فى حلقة الدرس بين
تلاميذه.

★★★

المنظر الثالث

(يجلس شيخ آخر فى مسجد آخر بين تلاميذه ويظهر فيهم المرسى أبو العباس)

أبو العباس : أود أن أشكو إليك يا شيخى أبا الحسن الشاذلى
كلما أقبلت على الله ودنوت
كلت نفسى وأوشك أن يصيب قلبى الوهن

الشاذلي : يا بني
إنها الدنيا إن تركن إليها ثاويا
أصبحت لها ذاكرا ولله ناسيا
فهى تكسو الفؤاد بالشهوات والعلائق
فإذا ما بدت الحقائق
وصرت وحيدا وجاءك ما كنت منه تحيد
تمنيت لو كان قلبك عاش ومات عاريا

يقول أحدهم : سيدى أنت تحدثنا عن الزهد
واراك ما تلبس إلا الجديد

الشاذلي : ما اسم المريد

يرد عليه : سعيد

قائلا

الشاذلي : لا تبدو كذلك

ثيابك الرثة تحدثنا أنك هالك

فما بالك

أترتديها لتشى بحالك؟

لتسال الناس وتأبى أن تسال رب الممالك

قم وإن استطعت فبدل ثيابك

وأت بأخرى جديدة من حُرِّ مالك

يا ولدى

لباسى يقول إنى غنى فلا تعطونى

ولباسك يقول أنا فقير فأعطوني

ما بال أقوام يظنون

أن التقوى بلبس الخرق

أفلا يعقلون؟!

إن التقوى بالجهاد وبذل العرق

جهاد لكسب حلال

وجهاد لنيل الرضا ممن خلق

أبو العباس : ولكن يا أبا الحسن

أتنكر علينا العيش الخشن

الشاذلي : رفقا بنفسك وقها العناء

وكل ما تجد من الطيبات وبرد الماء

إنك إن تشرب الماء ساخنا

فإنك لن تحسن الثناء لرب الأرض والسماء

أما إن شربته باردا

حمدت الله وحمدته فى جسدك سائر الأعضاء

يقول آخر : وما قولك يا شيخنا فى الهدية؟

أبو العباس : ما بال العز بن عبد السلام

يخرج علينا بغريب الكلام

ألم تعلم يا رجل أن نبينا عليه الصلاة والسلام

قد قبلها ولنا فى نبينا قدوة والتزام

الشاذلي : إليك يا بنى عن ابن عبد السلام

يا ابن عبد السلام

لقد كان حبيبنا ومصطفانا يقبل الهدية

لكنه كان يردها بأحسن منها

ويزيد فى العطية

لقد أثرتم بذكرى الحبيب الشجون

آه يا حبيبي

أراه والنصر قد جاء

والفتح قد جاء

وحان موعد اللقاء

أراه يوم الوفاة

الصمت يخيم على المدينة

والدمع قد اغرق العيون الحزينة

الكل فى انتظار الصلاة

الانتظار قد طال

الكل يشتاق لصوته

أرحنا بها يا بلال

فداك نفسى يا حبيبي

هنيئا لتلك الصحبة

تكحلت عيونهم برؤياك

وارتووا من نبعك

ودعوت لهم ونالوا رضاك

ليتنى كنت ثرى تطأه قدماك

ليتنى كنت جذع نخلة

وقفت عليها وبكت للفراق

ليتنى كنت عميرة

تربت على كتفى عندما ماتت مغيرة

يقتلنى الحنين ولا أصبر على رؤياك

أحبك

(وبكى الشاذلى فأبكى من حوله من المريدين)

★★★

المنظر الرابع

(فى خيمة حربية يجلس جنرال فرنسى ويدخل عليه جندى قائلا) :

الجندي : مولاى لويس التاسع عشر
الأب يستأذنك بالدخول

لويس : ائذن له
يدخل الأب فيستقبله لويس قائلا

لويس : أيها الأب المبارك
اعلم انك قد اشتقت لديارك

الأب : لا عليك يا مولاى الحبيب
فكل شيء يهون
لأجل الصليب
إنه مهمة مقدسة لأجل الرب

لويس : لن تؤثر فى كلماتك أيها الأب
كلانا يعلم أننا ما جئنا ها هنا
إلا من أجل الذهب فحسب

وبه سنعود فاطمئن

قد أوشكت المهمة على الانتهاء

ولن يطول البقاء

فنحن على أبواب مصر

ونحن إن دخلنا مصر

فقل على بلاد العرب الفناء

اتل صلاتك أيها الاب

واطلب البركة من الرب

★★★

المنظر الخامس

(فى خيمة أخرى حربية يجتمع بعض الجنود يبدو أحدهم أنه قائدهم يبادر بالحديث) قائلا :

هل أعددت العدة يا عز الدين

فها هم أولئك الملاعين

يوشكون على دخول البلاد

عز الدين : لا تخش شيئا يا مولاى الصالح نجم الدين أيوب

كل شيء جاهز العدة والعتاد

نجم الدين : حسنا استدع إذا توران شاه

واستعجله فى الحضور

سنلقن ذلك الوغد لويس المغرور

درسا لن ينساه

على بركة الله

انصرف الآن

(يجلس نجم الدين على كرسيه وقد بدا على وجهه الإعياء، تدخل عليه زوجته)

قائله : مولاى أأنت بخير؟

نجم الدين : لا عليك يا شجرة الدر

شجرة الدر : لكنك تبدو متعبا

نجم الدين : إيه يا زوجتى الحبيبة
فى الحقيقة اشعر ببعض الإعياء

شجرة الدر : هذا من كثرة الأعباء
لابد أن تنال قسطا من الراحة

نجم الدين : لا وقت للراحة الآن
العدو على الثغور

شجرة الدر : حفظ الله مولاي
ولطف بنا و بمصرنا
فهو الحليم الشكور

★★★

المنظر السادس

(يقف الشيخ أبا الحسن الشاذلى مستندا إلى عصاه فى وسط المعركة ويصيح فى الجنود قائلا)

الشاذلي : أيها الرجال قاتلوا كالأبطال
إلام تركنون؟!
إلى أموال وبنين
ودنيا ونساء تنكحون
فاعلموا انه إن تمكن منكم الأعداء
فدنياكم إلى زوال
وستذهب الأموال
نساؤكم من الجواري
ويصير عبيدهم من العيال

أبو العباس : هيا إلى الجنان
إلى الحور الحسان
فقد طال انتظار رضوان
إلى لقياكم هو فى شوق

هيا يا عباد الرحمن

العز بن عبد السلام : أيها الرجال عضوا على النواجذ

لا تخشوا الموت إن قدر الله نافذ

ادعوا الله بالثبات

وأقبلوا على عيون وجنات

الشاذلي : هبوا إلى القتال

أيها الرجال

أتريدون أن يذهب أصحاب محمد بمحمد وانتم تنظرون؟!

لا والله لن يكون

وإنا بهم إن شاء الله لاحقون

(وتدور رحى المعركة فى المنصورة يهرول احد الجنود المصريين إلى حيث يقف الشيخ أبو الحسن الشاذلى بين أصحابه ويصيح قائلا):

أحد الجنود : ابشر يا مولاى الشيخ لقد انتصرنا، ووقع لويس التاسع فى أسرنا

أبو الحسن الشاذلي : حمدا لله فلنذهب للصلاة لنشكر الله على نعمة النصر.

★★★

المنظر الأخير

(فى المسجد يجلس الشيخ أبو الحسن الشاذلى والمرسى أبو العباس ويدور بينهما حوار)

الشاذلي : لقد نويت الذهاب إلى الحج هذا العام
فالأجل قد دنا وأتمنى أن ألقى ربى
ومن ذنوبى قد برئت
طاهرا كما ولدت

أبو العباس : أتخشى لقاء ربك يا شيخنا؟!
فما بالك بنا

الشاذلي : حسبك ماذا تحسبنى بربك
ما أنا إلا عبد أعيته الآثام
يرجو الصفح من رب الأنام
أرى مشهدى يوم ترفع الأقلام
وقد وقفنا على الصراط
ومشينا
منا من ذلت قدمه

ومنا من باعه خصمه

ومنا من نفعه علمه

ومنا من قالوا نجينا

ومضينا

آه من ظلمة وأنات وصرخات

اشعر بالخوف

أود ساعتها الرجوع

لكنهم يعيدوننى إلى ذلك القعر المظلم

هيهات هيهات

الآن قد عرفت؟

الآن وقد عصيت؟

هذا مستقرك

هذه دار الخلود

آه على أوهام لذة وسراب

آه على عمر ضائع وسراب

آه واه

يا ليتنى كنت ترابا

أبو العباس : رفقا بنفسك سيدي

لا أزكيك على الله لكنني

ما احسب الله إلا أن يكون بك عطوفا رحيما
وكان فى عوننا وأنجانا من العذاب الأليم

(يجلس المرسى أبو العباس بين تلاميذه فى المسجد)

المرسى أبو العباس : وفى طريقه إلى الحج توفى أبو الحسن الشاذلى رحمه الله وأسكنه فسيح جناته وجمعنا به على حوض رسوله الكريم.

ستار

الجوهرة

المنظر الأول

(يقف مفتش المباحث إلى جواره رجل الأعمال ورجال الشرطة وعربات الإسعاف وأهالى القرية)

المفتش : فى رأيك من ارتكب هذا الحادث؟

رجل الأعمال : أنا من يجب أن يسأل هذا السؤال تلك السيدة المجنى عليها هى أمى جميلة

الملازم : سيدى لقد وجدنا المجنى عليها هذا الصباح
فى الطريق المؤدى من المدينة إلى القرية
وكان أول من تعرف عليها وأبلغ هذا الفلاح
ولقد تم نقلها إلى المستشفى مثخنة بالجراح
ويقول انه كان فى حقله يحصد الغلال

المفتش : احضره معنا إلى مقر العمدة ليتم استجوابه

★★★

المنظر الثاني

(فى منزل العمدة يجلس مفتش المباحث وإلى جواره العمدة ويقف أمامهم الفلاح)

المفتش : كيف تعرفت على المجنى عليها؟

الفلاح : من منا لا يعرف السيدة جميلة؟!

لقد وجدتها مضرجة فى الدماء

ففزعت على الفور بمجرد رؤيتها

لا أعرف من ارتكب بها هذه الفعلة الشنعاء

ولكنى اجزم لك انه ليس من قريتنا برمتها

فكلنا نحبها ونفخر بأنها من قريتنا

نشعر جميعا بأنها أختنا وأمنا وابنتنا

المفتش : أريد أن تروى كل ما تعرف عنها بالتفصيل

الفلاح : جميلة كانت فتاة فى جمال البدر ووداعة الهر

تعيش مع أمها وزوج أمها فى القصر

وكان زوج أمها يعامل أمها فى قسوة وقهر

وكلما كان يتقدم أحدا لخطبة جميلة

كان دائما لا يقبل ولو تقدم بأغلى مهر

وبعد وفاة أمها كان يمنعها من أن تخرج
كنا نسمع أنه يضايقها ويتحرش بها
وجميلة صابرة تنتظر المخرج
لقد كان ظالما يكرهه كل أبناء القرية
و قد بلغ أمر استبداده إلى حد لا يطاق
ففكر أهل القرية لأول مرة أن يخرجوا عن السياق

المفتش : ماذا فعلوا إذن؟

الفلاح : خرج أحد شباب القرية يدعوا لإصلاح ذلك الأمر
ويحرض أهلها للأخذ بالثأر
كان شابا وسيما وكان زعيما يدعى نصر
وقد كان الأخ الأصغر لعمدة قريتنا البائسة
وظل يحشد فالجموع اليائسة
ونظرا لصغر سنه كان يضع أخاه الأكبر فى الصدارة
لكنه من داخله كان يطمح فى الإمارة
وفى اليوم الموعود تقدم الأهالى نحو القصر يحملون فى أيديهم النار
وظل هو واقفا بعيدا ينتظر حتى حطموا الأسوار
ثم ولج إلى القصر فى زهو وانتصار
وجرد نصر ذلك الطاغية من كل ثروته

وقام بطرده بعيدا وأخرجه من قريته

ولم نسمع عنه شيئا بعد ذلك سوى

أنه قد مات فى غربته

ثم تزوج العمدة من جميلة

وقرر أن يدخل بها فى العيد

لكن نصر أخوه الأصغر انقلب عليه

وأجبره أن يطلقها

وأعلن نفسه العمدة الجديد

وانقطعت أخبارها بعد ذلك

فقد أحاط نفسه بسياج

من يقترب منه يعد فى حكم الهالك

المفتش : هل لديك شيئ آخر؟

الفلاح : لقد كانت تسرى فى القرية شائعة عابره

تقول إن جميلة قد ورثت

من أمها جوهرة نادرة

هذا كل شيء

المفتش : حسنا بوسعك الانصراف

(ويخرج الفلاح)

المفتش : نأمر بإحضار ذلك المدعو نصر

(ثم التفت إلى العمدة الجالس إلى جواره على الفور)

ولكن ألست أنت عمدة هذه القرية؟

العمدة : نعم

المفتش : ماذا عن نصر هذا إذن؟

العمدة : لقد كان عمدة لقريتنا منذ زمن

(ويدخل رجل عجوز محنى الظهر)

المفتش : اجلس يا نصر

أخبرنى عن حياتك مع جميلة

بعد أن تزوجتما وعشتما سويا فى القصر

نصر : لم نكن نقيم فى ذلك القصر الكريه

أخذتها إلى بيتى لنقيم فيه

وعكفنا معا على أن نجدد فيه

ومن جديد نبنيه

ولكنها بعد فترة بدت حزينة وحيدة

المفتش : وما كان سبب هذه التعاسة الزائدة ؟

نصر : لم أكن أعرف

فقد كانت فى كثير من الأوقات صامتة شاردة

ولقد رزقنا بثلاثة أطفال

كانت تحبهم وتعاملهم بلطف ودلال

كانت تنزعج كثيرا عندما أقسو عليهم
ترجونى أن أعاملهم بلطف
وظللنا كذلك برهة من الوقت
حتى اجتاح الفيضان القرية فى عنف
وبدأت الجدران تتشقق وانهار السقف
وغرقت قريتنا فى الحزن والكآبة
ولم أستطع أن افعل شيئا إزاءه
وصارت حياتنا معا جحيما لا يطاق
وأصرت جميلة على الطلاق

المفتش : وهل طلقتها؟

نصر : استجبت لها رغم حرقة الفراق
أخذت الأطفال وتركتنى وحيدا
وفقدت أنا كل شيء
وذهبت هى بعيدا
لم أعرف عنها شيئا منذ مدة
بعد أن تزوجت بابن عمى الذى صار عمدة
هذا الوغد الجالس بجوارك
هذا الحقير

المفتش : (قائلا للعمدة) أنت؟

العمدة : نعم يا سيدى

أنا زوجها الأخير

(ثم سأل المفتش قائلا لنصر)

المفتش : وماذا عن تلك الجوهرة؟

نصر : لست أنا ذاك الرجل الذى يبحث

عن الثراء والغنى

لو كنت كذلك لما تركنا القصر

وذهبنا لبيتنا

لقد كانت جميلة أغلى جوهرة فى حياتنا

المفتش : حسنا اذهب وانتظر فى الفناء

نأمر بإحضار اكبر الأبناء

★★★

(يخرج نصر ويدخل رجل ذو لحية وجلباب قصير)

المفتش : ما اسمك؟

الابن : حجاج أنا أكبر أبنائها

وأكثر من أحبها

كنت أعشق خطاها

كنت أرى نور الشمس فى محياها

كانت لى كل شيء

كانت عندما يضربنى أبى ويحبسني

تدخل لى الطعام

وتضمنى بحنان وتتحسسني

المفتش : وهل كانت علاقتك بأبيك سيئة؟

حجاج : لم أكرهه ولم أحبه

كان جبارا عتيا يعيث فى الأرض الفساد

لم يكن يدعنى أطبق شرع الله فى البلاد

عندما اكسر مذياعا يشيع الفاحشة يضربني

عندما أكسر صنما أو تمثالا يحبسني

عندما أضرب أخوتى لأحثهم على الفضيلة يجلدني

لم يفهمني

كنت أريد الإصلاح

كنت أضيق عليهم فالدنيا

لنعيش فى الآخرة فى براح

كنت أخاف عليهم من الهلاك

كنت أقطف الورود والأزهار

حتى لا تدمى أيديهم الأشواك

المفتش : وماذا تعمل؟

المفتش : عملى هو الدعوة والتذكرة

المفتش : إذا فقد أخذت الجوهرة

لتنفق على دعوتك للآخرة

حجاج : أنا لم أر قط

تلك الجوهرة البلهاء

هى فقط فى عقول الجهلاء

أما أنا فأسعى لدعوة الكل

للخروج من مأزق الدنيا

وإيجاد الحل

المفتش : اذهب إذن واجلس مع أبيك فى الفناء

ويستدعى ثانى الأبناء.

: ***

: (يخرج حجاج ويدخل إلى الغرفة شاب أعرج يمسك عكازا يرتدى ملابس غريبة الشكل)

المفتش : ما اسمك؟

الشاب : أنا أصغر أبنائها واسمى سامح

كنت أذوب فى هواها

كانت تدعونى دائما للتسامح

كنت أراها مدينتى الفاضلة

كنت أراها دوما

أقوى من أى مناضل أو مناضلة

هى من علمتنى أن أتنفس الحرية
وأن أدير ظهرى للأفكار البالية
كأفكار أبى الواهية

المفتش : وهل كان يسيء معاملتك أنت أيضا؟
لم يفهمنى لا هو ولا هي
كنت أريد أن أبتر أقدامهم
لنعيش كلنا بأقدام صناعية
ففى هذا عدل
ولكن كعادة الأهل
كان يضربنى أنا وأخوتى
وكل من يجرؤ على أن يتكلم بحرية
كان ديكتاتورا
يرتدى قناع المثالية
ويدعى انه صديق للديمقراطية

المفتش : ألم يكن يؤمن بالاشتراكية؟

سامح : لم يكن هذا كافيا
كنت أريد أن أراه عادلا
مثل ماركس أو لينين
ولكنه لم يكن يسمح لأحد بأن يهمس

ولو كان فى بطن أمه جنين

المفتش : إذن فقد قتلت أمك وسرقت الجوهرة
لتنفق على المحتاجين من الفقراء

سامح : ما هذا الهراء!
أنا لا أعلم عن أى جوهرة تتحدث
كل ما تتهمنى به افتراء

المفتش : إذن اذهب ولتجلس معهم فى الفناء
وأرسل إلى شقيقك الثالث

سامح : لقد مات فى حادث

المفتش : كيف؟ أليس هو ذلك المدعو هلال
رجل الأعمال؟

سامح : كلا من تتحدث عنه ليس آخى الشقيق
انه ابن لهذا الصفيق
أما آخى أمين فقد
مات مقتولا غريق
أرسله هلال إلى دولة من دول الثروات الزائلة
وأوهمه انه سيجنى هناك ثروة طائلة
شحنة فى سفينة تحمل له بضائع
وغرقت السفينة

وذاب أمين فالبحر كفقاعة

وصارت أمى من بعد ذلك حزينة ملتاعة

كان أقرب الأبناء إلى مهجتها

كان يحمل الكثير من عذوبتها ورقتها

كان له طلعة بهية وعود يافع أخضر

كان أبى يأخذ نقوده لينفقها علينا

ولم يكن يشكو أو يتذمر

لم أرى أحدا من قبل مثله

ومن ليلتها لم تجف أنهار دموعها

ولم تستطع أمى مقاومة أحزانها

كانت تخبرنا انه يزورها فى أحلامها

ولا تستطيع هى أن تزوره فى قبره

(ويخرج الابن سامح)

★★★

(فى الغرفة يحل المساء ويظهر المفتش جالسا والابن رجل الأعمال هلال بمفردهما)

هلال : نعم أنا ابنها من ثانى أزواجها

لن أقول لك مثلهم أنى أحبها

لم أكن أعرف قط شعورى حيالها

فحينا اشعر أنى عاشق لها

وأحيانا أخرى أشعر أنى لا أطيقها
كنت أريد أن أفوز وحدى بقلبها
كنت أريد أن أرى الناس حولها تجتمع
لتنال رضاها
كنت أريد أن أرها أرقى سيدة للمجتمع
والناس تتبع خطاها
ذهبت بها إلى المدينة لنعيش معا
ننهل من نبع المدنية والحضارة
كانت دائمة القول لي
كلما جمعت المزيد من الأموال
كلما زادت الخسارة
لكننى لم أفهمها
بحثت عن تفسير فى جميع المعاجم
لكننى ظللت أجهل معنى لتلك العبارة
كانت تقول لى أن ما بداخلى من جمال
باتت تكسوه الشرور
رفضت البقاء معى فى المدينة
وقررت أن تعود إلى الجذور
كانت تريد أن تستخرج من المصارف والطين الدرر

ولكن لم يمهلها القدر

المفتش : فخفت أن تضيع الجوهرة التى ستزيد ثروتك
فقررت أن تقتل ربتك

هلال : رغم ما بى من عيوب وآثام
وما انغمس فيه من الوحل
لكننى لا أجرؤ على
اقتراف مثل هذا الفعل

★★★

المفتش : وأنت أيها العمدة عواد
ما قصتك مع جميلة وهؤلاء الأولاد؟

عواد : أحببتها أكثر منهم
أردت أن أبعدها عنهم
أردت أن تنسى ماضيها الأليم
أردت أن نغرق سويا فى النعيم
تمنيت لها السعادة
وتمنيت لقريتنا الريادة
أن نتواصل مع المدنية
وأن يشعروا بالحرية
أردت أن نبتعد عن القبلية
والعادات الجاهلية

أن يكفوا عن أحاديث الثأر ليل نهار
أن نغض الطرف عن أعدائنا
ولا نبدأ بالشجار
لا نرد على أفعالهم الصبيانية بالمثل
بل بألاقوال الحكيمة
وأن نتظاهر بقوة الشكيمة
لكننا فى أواخر أيامنا معا
كنت أشعر بالخزى والضعف
عندما كانت تلتقى أعيننا
كنت أغض الطرف
لأننى...لأننى
لم أكن قادرا على أداء واجباتنا الزوجية
لكنها فى المقابل كانت تبدو قوية
وأنا صرت رجلا على الورق
كانت تستلقى بجانبي
لا تغمض جفنها من شدة الأرق
لم أستطع أن أفعل لها شيئا
وتركتها حزينة
وبعثت بها إلى ولدها

لتعيش معه فى المدينة

لم أكن أعلم اننى كنت أرسلها لقدرها

أو أننى أكون من يتسبب فى قتلها

ولا تسالنى عن تلك الجوهرة

فأنا لا أستطيع أن

أريق تلك الدماء الطاهرة

من أجل ثروة عابره

(يدخل الملازم إلى الغرفة مسرعا)

الملازم : سيدى توجد أخبار من المستشفى سارة

و الجميع يقفون خلفه وينصتون

الملازم : المجنى عليها لم تمت

ولا زالت على قيد الحياة

(ويلحظ المفتش ابتسامة تراقصت على جميع الشفاه)

★★★

المنظر الثالث

(يتوجه المفتش ومعه الملازم إلى غرفة جميلة بالمستشفى

وفى الممر يدور هذا الحديث)

الملازم : فيم تفكر يا سيدي؟

المفتش : هذا المدعو عواد زوج الضحية

أشعر أنه يخفى خلف هيئته البريئة

أوجه أخرى خفيه

وشعرت بقشعريرة تسرى فى جسدي

عندما ابتسم ورأيت

سنته الفضية

انظر لجدران هذا المستشفى

أيعقل أن يكون بها مثل هذا الشرخ

(ويدخلون إلى غرفة جميلة، ترقد جميلة والى جوار

فراشها تقف الممرضة

ويجلس على كرسى بجوار الفراش مخلوق غريب،

تكسوا ملامحهم نظرات الهلع

عندما فوجئوا بوجود ذلك المسخ، كان رجلا احدب

مشوه الوجه دميم، يجلس إلى جوار جميلة، ويبدو
عليه الأسى والحزن)
يتوجه المفتش بسؤال الممرضة
من يكون هذا الرجل
ذو الهيئة المذهلة؟

الممرضة : إنه آخر أبناء جميلة
لا تندهش يا سيدي
فماذا تتوقع أن تخرج
الأرض القاحلة
أرض قد غزتها الديدان وأعداد
من الجراد هائلة
سوى نبتة مثل هذه عليلة

★★★

المنظر الأخير

(فى قسم الشرطة)

الملازم : سيدى لقد آتى تقرير الطبيب الشرعي
يقول إن هذه ليست أول مرة
تتعرض جميلة لمثل هذه الطعنات
فقد تكررت الاعتداءات عليها مرات ومرات

المفتش : هذا أمر طبيعي
التقرير هذا لم يضف شيئا جديدا

الملازم : إن الأمر يزداد تعقيدا
لم نتوصل حتى الآن لخيط يقودنا
إلى من منهم قد فعل ذلك بتلك الضحية

المفتش : ألم تلحظ ابتسامتهم تلك
عندما عرفوا أنها حية؟

الملازم : فهل كانوا يريدون فقط الجوهرة
أم أن هذه الجوهرة هى مجرد وهم وخيال

المفتش : أتريد إجابة لهذا السؤال؟
كلهم جناة

لم يكونوا يريدون قتلها
كانوا يتمنون حبها
لكنهم أحبوا أنفسهم قبلها
لم يفطنوا أن تلك الجوهرة
تكمن فى قلبها

ستار

المجنون

المنظر الأول

(غرفة قديمة غير مرتبة فى وسطها مائدة يجلس على كرسى شاب يبدو عليه عدم الاهتمام بمظهره ذقنه نبتت منذ عدة ليال يحدق فى صورة لامرأة على الجدار يخاطبها قائلا) :

عادت الساحرات الأشرار

لا يوجد تفسير آخر

أهكذا يفعل بالأحرار

يصبحون عبيدا لفتنتك

أسرى لرقتك

يرسفون فى أغلال محبتك

صرت منذ رأيتك

رجلا بلا أسرار

فجميع أعضائى فى شجار

ليل نهار

صارت قضيتهم الأولى

أيهم أحبك أولا

يتظاهرون باستمرار

يلقنون دروسا للثوار

حبك إجبار

لا أملك ترف الاختيار

أأنت حقا ساحرة

أم كاهنة

أم أنت رسول

من بلاد القراصنة؟

أنت لست امرأة

أنت بئر بلا قرار

لا ارتوى منه

مهما شربت من انهار

لا ترحلى الآن

أو اذهبى أينما شئت

فأنا فى إثرك مرغما

أنا من دونك

حديقة بلا أشجار

قلبى من غير حبك

عود بلا أوتار

ها قد انتهيت من قصيدتى يا حبيبتي، ترى هل أعجبتك ستعرف الآن يا أحمد رأيها بعد قليل؟

(يتوجه إلى باب شقته يغادر ويغلق الباب خلفه)

★★★

المنظر الثاني

يجلس مجموعة من الشباب إلى مائدة فى غرفة يدخنون ويتحدثون

يقول أحدهم : هذا الوضع لم يعد يحتمل
عاد السامرى من جديد
يصنع العجل من الحلي
ومن حديد
بالأمس كانت ثورتنا على إله قديم
واليوم أتى نبى جديد
يأمر بالطاعة
وإذا ذكرنا له المجاعة
نصحنا بالقناعة
ووعدنا بالشفاعة
والفردوس الموعود
قتل أصحاب الأخدود
قتلهم العناد والجحود
اليوم أطلق سراح الجناة

شاب آخر : أحسنت يا حسين لابد من ثوره جديدة

شاب ثالث : كلا يا محمود لقد سئم الناس من الثورات

محمود : هل عندك حل آخر يا جمال؟

جمال : لا أعلم الآن لكن لابد من حل آخر

حسين : دعونا نتمهل لنرى ما يحمله الغد

★★★

المنظر الثالث

(تخرج صاحبة الصورة التى كانت على الحائط الذى فى منزل الشاب أحمد من أحد المسارح الشهيرة يحيط بها معجبون كثر وحارس مفتول العضلات يبعد عنها الفضوليين، ويقترب منها شخصان أحدهما يحمل كاميرا يلتقط لها صورا والآخر يحمل قلما وورقة، يبدو عليه أنه صحفى فيبادرها قائلا):

الصحفى : لقد كان عرضا رائعا

ترد الممثلة بابتسامة عريضة زائفة :

آوه أشكرك

الصحفى : هل لى بحديث خاص من نجمتنا المحبوبة بوسى لصحيفتنا المتواضعة؟

بوسى : عذرا فيما بعد فأنا متعبة الآن

(يحاول أن يصل إليها أحمد لكنه لا يستطيع يحاول ويحاول حتى يكاد أن يصل إليها إلا أن حارسها الشخصى يمسك به من تلابيبه، تصيح بوسى فيه قائلة):

بوسى : دعه لا بأس، أنت مرة أخرى ألا تمل من ملاحقتي؟!

(يقدم إليها ورقة)

آه قصيدة أخرى

حسنا لكن لا تكرر فعلتك هذه

(تمضى وسط الجموع وتترك أحمد يقف وحيدا يحدث نفسه قائلا):

أحمد : حدثت المعجزة

لم اعد صعلوكا

أنا الملك

بل أنا الشاه

صرت فنانا

ارسم بالكلمات

ما أعجز عن رسمه بالفرشاة

بل صرت نبيا

لم يذكر فى إنجيل أو توراه

نبيا جل رسالته

لم يعرف طعم الجنة

من لم يتذوق هذه الشفاه

سيحترق بالنار

من يقترب من هذا الجسد أو يهواه
ليس جنونا أو هذيان
منذ أحببتك
أرى وجهك فى كل مكان أراه
حتى إذا نظرت فى المرآة
حبك ما أتمناه وأخشاه
سأفقد عقلى يا ويلاه
فى حبك لن أبالى
أن أظلم
أن أرجم
لن أندم
لن يهدأ بالى
حتى ترثى لحالي

★★★

المنظر الرابع

(غرفة نوم بها سرير كبير أعلاه معلق على الحائط صورة كبيرة للممثلة بوسي وتجلس على السرير بوسى إلى جوار رجل تبدو عليه العظمة والأبهة

بوسى : سيدى الملك وحبيبى ، كم اشتقت إلى لقياك ، أود أن لا يفارقنى محياك

الملك : أنا أيضا يا حبيبتى ، لكن ماذا أفعل شعبى ورعيتى يأخذون كل وقتى لا أجد وقتا لأحك ظهري

بوسى : (فى دلال) أحكه لك أنا يا مولاي، كل ما أرجوه هو رضاك

الملك : لن أستطيع القدوم كثيرا
فالحمقى والغوغاء يتصيدون لى الأخطاء

بوسى : دعك منهم يا مولاي
ثم تكمل فى رقة: القافلة تسير والكلاب هو هو
(تخرج صوتا يشبه نباح الكلاب)
يقهقه الاثنان فى مجون

★★★

المنظر الخامس

(يجلس الشباب فى غرفتهم يدخنون ويتناقشون)

حسين : كلهم سواء

فى البروج يسكن العلوج

مضى خليفة وأتى خليفة

دخول ولا خروج

من البيض كانوا أم من الزنوج

جفت الصحيفة

ذكرى مخيفه

سجن لابن حنبل

وجلد للنعمان أبى حنيفة

جمال : ليس هذا فحسب إنه ينفق أموال الشعب على العاهرات

يشير محمود إلى صورة بوسى فى إحدى الجرائد قائلا:

جمال : خاصة هذه الممثلة

أتدرون يقولون إنها كانت خادمه

محمود : سبحان مغير الأحوال

حسين : لم يترك لنا حل آخر

محمود : ماذا تقصد؟

حسين : أقصد أن نتخلص منه

جمال : كيف ؟

حسين : نقتله

(ينظرون إلى بعضهم، ويصيحون فى صوت واحد):

نعم نقتله نقتله

★★★

المنظر السادس

(يجلس الملك إلى عرشه يدخل عليه حاجبه الخاص ملقيا التحية ثم يقول) :

الحاجب : ائذن لى يا مولاى

الملك : ماذا عندك ؟

الحاجب : مولاى رئيس الشرطة يود مقابلتك

الملك : دعه يدخل

يدخل رئيس الشرطة منحنيا

رئيس الشرطة : مولاى طاب صباحك

الملك : هات ما عندك

رئيس الشرطة : يتناقل العامة يا مولاى بعض الإشاعات

الملك : وماذا تقول هذه الإشاعات؟

رئيس الشرطة : يتحدثون عن علاقة بين مولاى حفظه الله و.....

الملك : ومن؟ تكلم

رئيس الشرطة : وتلك الممثلة بوسى يا مولاى

الملك : كيف تجرؤ؟

رئيس الشرطة : أنا فقط أنقل ما يصل إلى يا مولاي

الملك بعد برهة من الصمت: وماذا ترى ؟

(ينظر إليه نظره ذات مغزى ويرسم على وجهه ابتسامه صفرا)

رئيس الشرطة : أرى أن نتخلص من مصدر تلك الإشاعات يا مولاي

الملك : آه فهمت، إذن افعل ما تراه،

لا أريد أن أسمع مثل هذه الإشاعات مرة أخرى

★★★

المنظر السابع

يظهر الشاب المجنون وسيما حليق الذقن يرتدى حلة بيضاء تجلس أمامه بوسى فى رداء ابيض يحادثها قائلا:

أنا لا أعلم الغيب
الحب فى بلادنا
مرادف للعيب
والرجولة مقدرة بما يحمله الجيب
وأنا فى جيبى رتق
وفى قلبى عشق
فلا تقولى إلا الصدق
أتقبلين بحبي؟
لا تتسرعى فى الإجابة
أعرف أنك لازلت فى أمرى مرتابة
أغمضى عينيك يا زهرة خلابة
وستأتيك الإجابة
بوسى : أنا .. أنا
أشعر بالدوار

أحمد: أرايت ؟ ليس هذا دوار البحر أو السفر أو الأعباء

هذا هو الحب قد اخترق الجدار

جدار القلب فى سهولة ويسار

الحب كالموت هو من يختار

هو يختار وعلينا الطاعة

فى الحب لا شفاعة

نعم إن الحب كالموت

اثنان لا يأتيان فى العمر إلا مرة

بوسي: لكن يجب أن نتروى

أن نسمع صوت العقل

أخشى أن تعمينى العواطف

عما قد تخبئه العواطف

فالحب أيضا كالعمر

الاثنان يختفيان عند هطول المطر

أحمد: أيتها المخلوقة الرقيقة

إن لحبك حقا وحقيقة

تشهد على حبى سماء القاهرة

رمالها وشطآنها

بيوتها العتيقة

لا شان لى إن كنت خائفة

أيتها الجميلة

فليس ذنبى أننى أحببت امرأة مستحيلة

بوسي: أنا أيضا أحبك أيها العاشق الولهان

أنت تعلم هذا جيدا

أنت تتربع على عرش قلبى سيدا

فارتع فى حقوله وضياعه مالكا واحدا

ولك السمع والطاعة

لك العقل والفؤاد

ودمى ودمعى الكل لك ساجدا

يا من خرجت لى من تحت الأرض ماردا

بغير حسبان

فى داخلى بركان

الشوق إليك يهرول

يأبى أن يتمهل

كل ما كنت أقصده هو أن.....

أحمد: لا لن أقبل

لن أدعك تفسدى هذه اللحظة

دعينى أنظر إلى عينيك

أن أبحر إلى عالم آخر أجمل

أنا نشوان أنا أثمل أثمل

(يهب مستيقظا من نومه محدثا نفسه: يا له من حلم جميل، يتوجه إلى صورتها المعلقة على الحائط مخاطبا إياها:

أحمد : كم أشتاق إليك يا حبيبتى

★★★

المنظر الثامن

(يجلس أحمد وحيدا بالمقهى، يظهر بائع الجرائد صائحا: اقرأ الحادثة اقرأ الحادثة خبر مقتل الممثلة الشهيرة بوسى، تسقط العبارة على أذنى الشاب كالصاعقة، يقفز من مكانه متوجها إلى بائع الجرائد يخطف منه الصحيفة وينقل عينيه بين الأسطر فى ذهول، وتسقط الجريدة من يده دون أن يدرى ويعود إلى مقعده جالسا كمن ضربته صاعقة ويتجاذب رواد المقهى أطراف الحديث بجواره)

آدى أخرتها

كانت كالفراشة جذبتها النار

من يقترب من النار لابد أن يحترق

ماذا تقصد ؟

الكل يعلم أن الملك هو من فعلها

اخفض صوتك

أهو سر الكل يعلم

(يحدث نفسه):

أحمد : هذا ما يحدث إذن ، ألم تجدى سوى الملك لتتخذيه عشيقا ؟

(يقوم متثاقلا يمشى هائما على وجهه يجلس إلى شاطئ النيل يخرج صورتها من جيبه يحدث نفسه قائلا):

أحمد : أيتها العنيدة

هل استرحت الآن

أيتها الشهيدة

ها قد صرنا الآن

أنا وحيد وأنت وحيده

نامت جفونك

وتركت جفونى معلقة

لا أدرى هل لازالت حيه

أم هى نافقه

قتلوك يا حبيبتي

قتلوك على عجل

يا أمة لا تمل من قتل الأمل

من سوانا

يبنى للموت أهراما

ونتخذ من المستقبل أكفانا

من سوانا

فى بلادنا الشمس لا تحتجب

لا ينعم بالظل إلا من كان لصا أو قريبا للمحتسب

ومن يقبل يد مولانا

من سوانا

من يجرؤ أن يقتل الأحلام

مكتوب عليه أن يعيش فى الظلام

مات من بعدك الكلام

يا نجمتى المضيئة

يا احلامى البريئة

حلقى فى السماء

هنيئا لك بعالمك الجديد

عالم يخلو من الحمقى والأغبياء

فما جدوى البقاء

فئ عالم تساق الحرائر فيه

إلى موائد البغاء

عندما لا يأبه الأمراء

إلى هرطقة الشعراء

عندما يخاف الرعد

ويغتال الورد

ويفر المجد

إلى حضن العراء

ممزق الرداء

يتوارى بعيدا عن عيون التعساء

عندما يصبح الربيع كالشتاء

عندما ترسل الأرض دعواتها إلى السماء

فتعود كما هى منهكة فى المساء

هذا بعينه هو الشقاء

فما جدوى البقاء

(ينهض واقفا تلمع عيناها ثم يبدو وكأنه قد اتخذ قرارا)

★★★

المنظر التاسع

(يظهر أحمد يغطى وجهه بطرف لثام يبدو متخفيا يقول):

أحمد : رياح باردة
جراح خامدة
ولصوص مترددة
ونباح وزقزقة عصافير
صهيل وزئير
هدوء يسبق الأعاصير
نصرخ فى النفير
ولا فائدة
العدل فى بلادى تجارة كاسدة
(يظهر الملك فى موكبه تحيط به جموع الشعب)
تهتف قائلة :
بالروح بالدم نفديك يا مليكنا
يبرز أحمد من بين الجموع يصوب مسدسه ناحية الملك ثم يطلق النار، فيرديه قتيلا، ثم يفر أحمد هاربا، يسود الهرج والمرج ويخرج الشعب إثر سماعه خبر مقتل الملك إلى

الشوارع فى ثورة عارمة وتظهر بعض الجموع مستغلة الموقف
يخرجون لسرقة المحال ونهب البيوت الخاوية والبعض
يشعلون الحرائق
ثم يظهر أحمد يسير بمفرده متمتما):

أحمد : غابت سعاد
وغاب الفؤاد وغاب الحصاد
وزاد الرماد
على الشاطئ وقف العباد
ووقف الجواد
الكل فى انتظار المقداد
احترقت بغداد
من أشعل النيران فى البلاد
نيرون –الحجاج – مبارك – أم صدام
زحام زحام
الكل يهرول بلا اهتمام
الكل يصارع الأوهام
يتبادلون الاتهام
عبر الأثير وعبر وسائل الإعلام
يساقون كالأغنام

إلى الشتات

مات عرفات

وكأن الدمع بالمرصاد

أصحاب الضاد صاروا أضداد

وصار القائد قواد

غابت سعاد

★★★

المنظر الأخير

(فى منزل أحمد تتعالى طرقات على الباب يذهب أحمد ليفتح الباب تندفع جموع غفيرة إلى منزله يظهر من بينهم حسين وجمال ومحمود يتقدم إليه حسين قائلا):

حسين : أنت هنا يا رجل وإخبارك وصورك تملا الجرائد

(يصيح أحمد متراجعا من أمام حسين):

أحمد : دعونى أنا لم افعل شيئا

(يتقدم الشباب حسين ومحمود وجمال إليه يرفعونه على أكتافهم، يصمت الجميع ثم يهتف حسين) :

حسين : يحيا البطل العظيم

يحيا زعيمنا الجديد

ستار